جامعة تلمسان

الملخص :

شهد العهد الزياني نهضة حقيقية في مختلف العلوم تضافرت فيها جملة من العوامل أهمها إسهامات أعلام الأندلس بطريقة مباشرة من خلال استقرارهم بالحاضرة الزيانية، أو بطريقة غير مباشرة من خلال احتكاك أعلام تلمسان وطلبتها بالمؤلفات الأندلسية الوافدة في شتى ضروب العلوم النقلية والعقلية .

مثلت تآليف الأندلسيين مواد وبرامج تعليمية في المدارس الخمس الزيانية وألف حولها أعلام المغرب الأوسط وحتى الأعلام الوافدين شروحات ومختصرات لتأديبها وتسهيلها على طلبتهم

الكلمات المفتاحية : تلمسان – المؤلفات الأندلسية – التفاعل الثقافي – مناهج التعليم– بيوتات العلم.

Abstract :

The objective of this research is to know the place of the Andalusian author and his books in Tlemcen at the zianides era, When the compositions came from scholars andalousians in any scientific field like religious science, statutes , syntax and mysticism …which became the programs for the students in the five schools in Tlemcen .

Cultural transferring by andalusian books was the phenomena of the this relationships between Tlemcen and Al-andalus .

Key words : Andalusian authoring - Tlemcen - Andalusian affects-exchanging.

المؤلفات الأندلسية المتداولة في تلمسان الزيانية.

الدكتور رشيد يماني

جامعة تلمسان

تقديم :

تبوأت مدينة تلمسان مكانة رفيعة في عموم المغرب الإسلامي خاصة في الفترة الممتدة ما بين القرنين السادس والتاسع الهجريين حيث عدت هذه المدة من أخصب مراحل التفوق العلمي ، شخّص ذلك القلصادي الأندلسي عندما ارتادها سنة 840 هـ، فقال في وصف حالتها العلمية: "وأدركت فيها كثيرا من العلماء والصلحاء والعبّاد والزّهاد، وسوق العلم حينئذ نَافِقَةٌ وتجارة المتعلمين والمعلمين رابحة، والهمم إلي تحصيله مشرفة، وإلى الجدّ والاجتهاد فيه مرتقية" [1]. أصبحت صلة الأندلس وثيقة بمدينة تلمسان أكثر في هذه الفترة لعدة عوامل سياسية ومذهبية واقتصادية وفكرية وأخيرا اجتماعية ؛ حيث تمثلت مظاهر هذا التواجش في حركة التنقل الكبيرة لطلاب وعلماء الأندلس نحو مركز الاستقطاب في المغرب الأوسط وخلف ذلك نتائج إيجابية طبعا تمثلت عموما في تنوع الإنتاج الفكري والتبادل المعرفي وحتى المصاهرة بين ذوي البيوتات .

وعند استقرائنا للنصوص التي تقدمها كتب التراجم والمناقب والرحلات التي تبحث في سيرة العلماء وحملة العلم – حيث نجد تداخلا بين شخصية العالم وطالب العلم – بين العدوتين وقفنا على حركة انتقال دائبة للعلماء الأندلسيين وللكتاب أو للفكر في حد ذاته نحو تلمسان التي استفادت وأفادت به، وهذا ما سنحاول دراسته والوقوف عليه في مداخلتنا هذه حيث ارتأينا أن نتناول من خلاله المعطيات العلمية للأندلسيين في تلمسان وآثارهم المعرفية في حلقات العلم وإنتاجهم الفكري المتداول بمراكزها الفكرية ...

عوامل الانتقال:

كان وراء انتقال العلماء وطلاب العلم بين الأندلس وتلمسان عدة دوافع منها العامة ما تتعلق بالازدهار الحضاري الشامل الذي تعرفه كل من الأندلس والمغرب في هذه الفترة فكان من الطبيعي أن تعزز بصلات التواصل العلمي، إضافة إلى الوحدة السياسية التي عرفها البلدين في عز قوة المرابطين ومن بعدهم الموحدين أي خلال القرنين السادس والسابع الهجريين حيث انعكس ذلك على تطور العلوم كل حسب فترته العلوم الدينية والأدبية ثم علم التعاليم و التصوف [2].

فضلا عن وجود **أسباب خاصة بالأندلسيين** النازحين أو الفارين من وطأة حركة الاسترداد النصراني والتي اشتدت خاصة في القرنين السادس بسقوط الثغر الأعلى سرقسطة وتراجع الدولة اللمتونية ثم نهاية القرن التاسع بسقوط الثغر الأدنى وغروب شمس الأندلس .

تنبه ابن خلدون (ت 808 هـ) إلى ذلك السبب السياسي بقوله:" وأما أهل الأندلس فافترقوا في الأقطار عند تلاشي ملك العرب بها ومن خلفهم البربر وتغلبت عليهم أمم النصرانية فانتشروا في عدوة المغرب وافريقية من الدولة اللمتونية إلى هذا العهد وشاركوا أهل العمران بما لديهم من الصنائع وتعلقوا بأذيال الدولة "[3]. كان علماء الأندلس لشعوره بسوء العاقبة يعملون في الهجرة إلى ما جاورهم من بلدان وكان مقصدهم من ذلك تلمسان والمغرب الأقصى وتونس وبدخول رحالة الأندلس أصبحت هذه الأقاليم وارثة العلوم الأندلسية "[4]. حدد بعض الباحثين بداية نزوح الأندلسيين إلى المغرب الأوسط سنة 512 هـ مع سقوط سرقسطة وتبعتها هجرة أخرى بتهديد تغر آخر هو المرية سنة 542 هـ[5]. وبالتالي نجد أنه من هؤلاء العلماء الأندلسيين المتنقلين قد استقر بهم الحال في تلمسان نهائيا أو مؤقتا لسنوات قبل أن يشد الرحال نحو مدينة مغربية أخرى أو نحو البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج؛ وبالرجوع إلى تكملة ابن الآبار نجده يعج بهؤلاء ولعل أبرزهم :

– أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خليل (ت بعد سنة 570هـ) من أهل لبلة واختص بعلم الحديث [6].

– أبو الحسن صالح بن أبي القاسم خلف بن عامر(ت 590هـ)من أهل مالقة وكان طالبا في علم الفقه [7] .

– أبو مدين شعيب بن الحسين (ت590هـ) من أهل اشبيلية و الذي عرف عنه اهتمامه بالتصوف [8].

– أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن شلوط (ت 610هـ) من أهل بلنسية والذي كان اهتمامه بالحديث والطب [9] ، إضافة إلى أبي زكريا يحيى بن محمد بن إلياس والذي اهتم بالحديث النبوي[10] ، وكان أبو زكريا يحيى بن سعيد بن مسعود من المهتمين بالقراءات وعلوم اللغة العربية [11] .

أما **العوامل الخاصة بتلمسان** فإن ظروف التشجيع من السلطة الزيانية قد جعل المدينة والمنطقة عموما تصدر في هذه الفترة المراكز التعليمية الأولى في بلاد المغرب خاصة في **القرن التاسع الهجري** بتراجع فاس وتونس، إذ اجتمع فيها من الأسباب الباعثة على النهوض الثقافي ما لم يهيأ لغيرها، وأبرز وجوهها العلمية أواخر القرن التاسع، تمثلت في ثلاث شخصيات علمية بارزة وهم: الشيخ محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي، وأحمد ابن زكري، ومحمد بن يوسف السنوسي، حتى أن أحمد ابن داود البلوي الأندلسي حين خرج منها وهي تعجّ بالعلماء، عندما سُئل عنهم قال: " العلم مع التنسي والصلاح مع السنوسي والرياسة مع ابن زكري" . وبالتالي كانت هذه المدينة حاضنة العلم والعلماء الوافدين خاصة من الطلاب من كانوا يتنقلون بين مراكز المعرفة عبر بلاد المغرب ، وقد يواصل عدد منهم الرحلة إلى المشرق. ومن الوافدين:

– ابن رضوان النجاري عبد الله بن يوسف (ت 783) من أهل مالقة، درس بسبتة وتلمسان وتونس ؛ وهو ذو ثقافة أدبية واسعة وله تجربة في الكتابة والحكم[12] .

– أبو عبد الله محمد بن الحداد الوادي آشي حلاه المقري بالفقيه الأديب حائز قصب السبق في كثرة النسخ والكتابة حيث قصد تلمسان واحترف بها النسخ وصاهر بها بني مرزوق[13].

– المِجَاري محمد بن محمد (ت 862) عالم جليل مشارك تابع دراسته بتلمسان وبجاية وتونس ومصر فضلا عن غرناطة؛ ومن مؤلفاته "برنامج" غني بالمعلومات عن التاريخ العلمي لعصره [14].

– القلصادي علي بن محمد (ت 891) عالم جليل ألف في الرياضيات والفرائض والفقه وغير ذلك، درس بباجة وتلمسان التي مكث أكثر من ثماني سنوات وبها ألف بعض مؤلفاته شأن **كتاب التبصرة الواضحة في مسائل الأعداد** الذي فرغ من تأليفه سنة 847هـ [15]، ويبدو أن القلصادي لما استقر في تلمسان قعد للإقراء والتأليف وقد تنوعت تآليفه وشملت الفرائض والحساب والنجوم والفقه وغيرها[16].

ومن جانب آخر لم تكن هجرة حملة العلم في أغلبها فردية وإنما كانت جماعية مع أسرهم التي تحمل في كنفها النباهة والفضل والعلم والأدب حيث شكل أعقابها بيوتات أندلسية بتلمسان كبيت الآبلي والعقباني والبلوي والبيت الوشقي والخزاعي؛ وإذا كان بيت الآبلي قد رفض التأليف وحتى نظام المدرسة فإن من البيوتات الأندلسية المستقرة بتلمسان ما حازت قريحته بالتأليف في شتى ميادين العلم . وشكلت ظاهرة المصاهرة بين أهل البيوتات أحد أبرز المظاهر العلمية والاجتماعية بتلمسان الزيانية، خاصة وأن هذه الخاصية هي أساسا من الركائز التي تقوم عليها الابيوتات العلمية في أي قطر ،ولعل أهم نماذج ذلك مصاهرة أسرة بني الحداد الوادي آشية لبيت بني مرزوق[17].

الإنتاج الفكري الأندلسي بتلمسان :

ولعل أهم ما أنتجته الأسر الأندلسية المقيمة في تلمسان من مؤلفات خدمت بها العلم في مدينة تلمسان والمغرب الأوسط عموما:

كتاب "**العمدة في نسب النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده** " [18] لمؤلفه محمد بن أحمد بن إسحاق التلمساني البري الأندلسي الوشقي ، وهذا الكتاب كان معروفا في تلمسان حتى أوائل القرن العاشر الهجري ؛والذي نهل منه علماء تلمسان أمثال ابن صعد التلمساني (ت901هـ) وكذا الفقيه ابن سعود الخزاعي التلمساني (ت789هـ) وكلاهما من أصل أندلسي .

بينما أكثر ما اشتهر عن المؤلفات الأندلسية في تلمسان كتاب في علم الفرائض المسمى " **تبصرة البادي في الفرائض وتذكرة الشادي المجيد الفارض** "والمعروفة اختصارا باسم **التلمسانية** وهي أرجوزة أومنظومة شعرية محكمة بعملها ضابطة عجيبة الوضع كما قال ابن الخطيب[19] ، ألفها أبو إسحاق إبراهيم بن أبي بكر الأنصاري البري التلمساني المتوفى سنة 697هـ . كتبها وهو صغير السن وتنعت بالأرجوزة التلمسانية في الفرائض[20]، وبلغت أبياتها 834 بيتا ؛ وتناول فيها المحاور الأساسية لعلم الفرائض؛ وكتبها في العشرين من عمره ؛ وإلى ذلك أشار في البيت الواحد والثلاثين .

هذا وإن لاحظها من يعدِل فلِبنِي العشرين عُذر يُقبل

ومن جهة أخرى فقد كثرت عليها الشروحات من طرف أندلسيين عاشوا في تلمسان أمثال أبو سعيد فرج بن الشداد الغرناطي (ت 782هـ) والذي قرأها عليه المجاري محمد (ت 862هـ)[21] وجعفر بن أبي يحيى الأندلسي والذي أجازها له القلصادي [22] والذي يبدو أنه قد اختصرها .

الملاحظ أنها ظلت على مكانتها المرموقة في منظومة الثقافة المغربية الوسيطية بل تعدت إلى الفترة الحديثة حتى ذكرها الشيخ العربي بن حمدان الأندلسي من أهل الجزائر ضمن مقروءاته في حدود سنة 1837هـ [23].

حضرت كذلك بتلمسان الزيانية المؤلفات المشرقية في الفقه مثلا شأن كتاب **مختصر الجلاب** نسبة إلى واضعه ابن الجلاب (ت378هـ) والمسمى بالتفريع وهو من المؤلفات الفقهية المالكية ، وكتاب **التبصرة** وهو شرح لكتاب ابن الحاجب في الفقه، وهذا لا يعنى غياب المؤلفات الأندلسية تماما فقد تناول طلبة العلم كذلك المقدمة القرطبية وهي من مؤلفات الفقه الأندلسية الحاضرة بتلمسان وهي منظومة فقهية في المذهب المالكي أو أرجوزة الولدان في الفرض والمسنون للعالم الفقيه أبي بكر يحيى بن سعدون القرطبي المتوفى سنة 567هـ والتي بلغ عدد أبياتها مائة وسبعة عشر بيتا (117)؛ إضافة إلى ذلك برزت المدائح النبوية مثل **المعشرات العروضية في مدح محمد خير البرية**[24].

وأما كتاب **تخريج الدلالات السمعية** فهو الآخر لقي رواجا كبيرا لمؤلفه علي بن محمد بن سعود الخزاعي الأندلسي والذي ألفه سنة 786هـ[25]، كما كان محمد بن الخضار الكتامي السبتي يدرس بعض المؤلفات الأندلسية وهو في رحلاته التجارية بين المغربين شأن كتاب الزكاة لمحمد بن الجد الفهري الأندلسي.

يبدو أن الإنتاج الفكري لبيت العقباني في تلمسان كان غزيرا حيث ألف سعيد العقباني أحد أعلام هذا البيت كتابا في الفرائض لم يؤلف عليه مثله رغم كثرة شروحه وهو **شرح الحوفي**، كما ألف حوله عالم تلمسان أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي في كتابه المسمى"**المقرب المستوفى في شرح فرائض الحوفي**"، وألف محمد الراعي الغرناطي شرحا على كتاب القواعد لشيخه قاسم العقباني[26]، ومن جانب آخر ألف كتاب تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر[27]، وكتاب الوسيلة بذات الله وصفاته[28].

عن إنتاج بيت البلوي في تلمسان فقد وصف ابن غازي في فهرسته أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن داود البلوي الوادي آشي توفي عام 938هـ المعروف بأحمد بن داود بالفقيه المتقن المشارك الجامع المصنف ؛ من مؤلفاته شرح على الخزرجية وثبته الذي فيه شيوخه[29].

هذا فضلا عن بيت ابن خلدون الاشبيلي نزيل تونس والذي كان مغاربيا حين عمل وألف في البلاطات الثلاث (المريني والزياني والحفصي) وكان جل إنتاجه الفكري الموسوعي في رحاب المغرب الأوسط . كما كان للفقهاء الغرناطيين نصيبا وافرا من الفتاوى والاجتهادات الفقهية شأن ابن السراج الغرناطي (ت 848هـ)، وابن الحفار الغرناطي أبي عبد الله محمد الأنصاري (ت811هـ) وابن فتوح الغرناطي (ت 867هـ) حفظها لنا كتاب المعيار المعرب للونشريسي . كما كان لابن الأزرق أبي عبد الله محمد مؤلفاته التي قال عنها المقري :" تآليف عظيمة وقفت عليها بتلمسان " . يمكن اعتبار أبي الحسن القلصادي أكثر عالم أثّر في الحياة الفكرية التلمسانية خاصة في العلوم العقلية كالرياضيات والفلك من خلال مكوثه بتلمسان لمدة تزيد عن ثماني سنوات وسبعة أشهر ؛ فكان يعقد حلقات الدرس ويتولى إقراء كتبه ويحضر عنده جم غفير من طلبة العلم للاستفادة منه ومن المؤلفات الرياضية التي ألفها والتي فاقت ثمانية عشرة كتابا.

المؤلفات الأندلسية المتداولة بتلمسان الزيانية :

عجت تلمسان بمراكز الفكر والعلم كالمساجد الجامعة والمدارس التي كانت تعقد بها حلقات العلم على شتى طرق التدريس الإلقائية أو الحوارية ، ويرجع الفضل في ذلك إلى اهتمامات الملوك في تشييدها حيث قال عنها ابن الأحمر : " ... ونكفي أن نذكر المدارس الخمس الكبرى التي أنشأت فيها (تلمسان) في أيام تلك الأسر الطويلة العمر"[30]. وذكرها حسن الوزان كذلك بقوله :" وتوجد بتلمسان مساجد ... وخمس مدارس حسنة...شيد بعضها ملوك تلمسان وبعضها ملوك فاس" [31].

وما يهمنا في هذا الجانب مواد الدراسة والمناهج التي كانت بها، وقد ذكر هذا الأخير بأنه كان بتلمسان كثير من الطلبة والأساتذة في مختلف المواد سواء في الشريعة أو المواد العلمية، وكانت المدارس المس تتكفل بمعيشتهم بكيفية منتظمة[32].

يبدو أنه كان هناك توزيع أسبوعي وسنوي لتلقي الدروس في شتى العلوم ، ولعل من أهم الدروس التي كانت مواد تعليمية في هذه المدارس ما نقله ابن مريم في ترجمة شيخه أحمد بن عبد الرحمن ابن زاغو المغراوي التلمساني (ت 845هـ) والذي قال عنه أحد تلامذته : " ... ولازمته مع الجماعة في المدرسة اليعقوبية للتفسير والحديث والفقه والأصول شتاء ، والعربية والبيان والحساب والفرائض والهندسة صيفا، وفي الخميس والجمعة التصوف وتصحيح تآليفه [33]. بدأت طرق التدريس تتجه إلى نوع من الاستقرار والجمود في مجال العلوم الدينية وغيرها باستثناء الاجتهادات الخاصة التي تميز بعض الاساتذة عن البقية من أقرانهم وبذك برزت ظاهرة أخرى وهي خاصية الدروس الخصوصية وانتقال طلبة العلم إلى بيوت ومنازل ودكاكين العلماء. ومن جهة أخرى اتخذ الكتاب أهمية سواء على شكل مختصرات وتعليقات وشروحات لمتون، أو مطولات ووسوعات غالبها أدبية وأرجوزات في أبيات شعرية مطولة تفوق الألف .

أما المواد التعليمية، فقد ظلت المحافظة تستأثر بالاهتمام أكثر من الفهم والاستنتاج والتصرف حيث كان من خصوصياتها :

– تقلص دور المناظرة في حلقات الدرس واعتماد السماع والإقراء .

– الزيادة في حفظ النصوص منظومة ومنثورة حيث مثل الحفظ أحد أبرز طرق التدريس والتحصيل المعرفي ويشمل المتون والكتب والقواعد والنصوص حتى أن أحد شيوخ تلمسان على التالوتي وهو من أهل القرن التاسع الهجري، وقد كان يوميا يردد وبالتناوب محفوظاته من الكتب[34].

– اتساع عملية اختصار الكتب والرجوع إلى المختصرات والتي تعني إما اختصار مادة معرفية أو جزء منها، وإما اختصار كتاب بعينه.

– كثرة الإجازات حتى بدون لقاء.

أما الكتب الدراسية فمنها ما يحفظ وما يشرح أو يجمع بينها. والقرآن الكريم على رأس المحفوظات ثم الحديث النبوي ؛ وقد كان محور برنامج التدريس يدور حول مجموعة من الكتب أهمها من المؤلفات الأندلسية التي كانت تدرس في عاصمة المغرب الأوسط، ولعل منها ضمن منهاج العلوم الدينية كالفقه والحديث لطلبة العلم **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، والاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار**[35] وكل منهما موسوعة علمية ضخمة، تحتوي علوماً كثيرة وفنوناً شتى ؛ إضافة إلى **كتاب الواضحة** لعبد الملك بن حبيب الأندلسي المتوفى سنة 238هـ[36]، و**عمدة سيرة النبي–صلى الله عليه وسلّم–** لمحمّد بن إسحاق الأندلسي الوشقي التي ذكرناها سابقا.

كثيرا ما كان يعتمد في التفسير نظام الكراسي العلمية حيث يتحلق طلبة العلم حول أستاذهم الذي يعلو عنهم جالسا على كرسي من خشب في وسط الحلقة العلمية ومن الكتب الكثيرة التي يشرحونها تفاسير الأندلسيين **كتفسير ابن عطية والقرطبي** [37] ، **ولامية الشاطبي** [38].

كان رسم القراءات الأندلسية له حظ وافر في علوم تلمسان حيث ماجت مراكز العلم بكتب أبي عمرو الداني المتوفى في سنة 444هـ، ومحمد بن محمد الأموي الشريشي المعروف بالخراز ، والكتاب عنوانه " مورد الظمآن في رسم أحرف القرآن " [39] .

بينما تمثلت أهم الكتب الأندلسية في مادة النحو واللغة إضافة إلى كافية ابن الحاجب مؤلفي الألفية والتسهيل لابن مالك نسبة لتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لمؤلفه جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني (ت 672هـ)[40].

في التصوف كثيرا ما كانت تتداول شروحات ابن عباد الرندي الصوفي الأندلسي على كتاب الحكم لأحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندري [41] بعدما راجت أعمال ونسك الزهاد الأندلسيين السابقين في تلمسان . إلا أن أهم مؤلف كتبه أهل البيوتات الأندلسية المقيمة بتلمسان ما أنتجته قريحة أبي العيش محمد الذي ألف منظومة في أسماء الله الحسنى سماها " **الحقائق المصونة في الألفاظ الموزونة في ذكر أسماء الله الحسنى وصفاته اقتباس أنوارها من مخلوقاته الباهرة وموضوعاته** "، وفي هذا المؤلف نظم في كل قسم اسما من أسماء الله الحسنى حيث أجاد فيها وبلغ الغاية منها في ذكر اسم الله سبحانه[42].

وفي المقابل فقد كان في علم الفرائض الاعتماد شبه كليا على كتاب "**فرائض**" الفقيه أبي القاسم أحمد بن محمد بن خلف الإشبيلي الحوفي (ت: 580هـ) دراسة وتدريسا ،وهو الكتاب المعروف بـ"كتاب الحوفي " أو"فرائض الحوفي" أو الحوفية [43].

جاء في كلام أحمد ابن القاضي: " وبعد، فلما وقفت على أرجوزة بديعة في "علم الفرائض" بعمل الكسور للشيخ الفقيه المشارك المتقن النبيه أبي جعفر أحمد بن علي بن أحمد البلوي، الشهير "بابن داود التلمساني الأندلسي "جامعة لما اشتملت عليه من ذلك الفن، رأيت أن أضع عليها شرحا يبين ألفاظها، ويوضح أغراضها..." [44].

وبالتالي فقد نبغ كثير من الأندلسيين المقيمين تلمسان في هذا العلم واشتغلوا فيه وألفوا حوله شروحات شأن القلصادي الذي ألف عددا من الكتب حول الفرائض والميراث .

من مؤلفات التلمسانيين على كتب الأندلسيين :

نتج عن هذا التفاعل الثقافي بين علماء الأندلس المستقرين بتلمسان وسياستهم التعليمية التي مدحها ابن خلدون في مقدمته ووقوف التلمسانيين على أهم المؤلفات الأندلسية إلى

بروز نزعة اختصارها والتعليق عليها وشرحها وحتى الرد عنها تسهيلا لطلبتهم ومسايرة للأوقات العصيبة، ومنها :

شرح الأحكام الصغرى لعبد الحق الاشبيلي (ت581هـ) و**شرح الشفا للقاضي عياض** وقد ألفها ابن مرزوق الخطيب(ت781هـ) أما مؤلفات حفيده المتوفى سنة 842هـ فأهمها **إيضاح المسالك في شرح ألفية ابن مالك**[45]، **ومن المؤلفات المخطوطة المعراج إلى استمطار فوائد الأستاذ ابن سراج** في كراسة ونصف، أجاب به أبا القاسم بن سراج الغرناطي عن مسائل نحوية ومنطقية إضافة إلى **أرجوزة ألفية في محاذاة حرز الأماني للشاطبي** .

بينما تمثلت مؤلفات التصوف في ما اختصره الإمام السنوسي محمد بن يوسف في شرح جليل مختصر بغية السالك في أشرف المسالك للساحلي إبراهيم الطويجن ، ومختصر في القراءات السبع . وألف محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي مختصرا في علم القراءات "الطراز في ضبط الخراز "، خصصه المؤلف لدراسة جزء الضبط من نظم الخراز ، مما جاء فيه:" ... فإني لما رأيت من تكلم على ضبط الأستاذ أبي عبد الله الشريشي الشهير بالخراز، فوجدتهم بين مختصر اختصارا مخلا، ومطول تطويلا مملا ، فشاقت نفسي إلى أن أضع شرحا يكون أنشط لقارئه وأقرب لفهم طالبه ، فشرعت فيه مستعينا بالله-تعالى- وسميته ب " الطراز في ضبط الخراز " [46] .

لعل أهم أعلام تلمسان الذين ألفوا حول كتب الأندلسيين في القضاء والوثائق :

أحمد بن يحيى الونشريسي في تعليق على رسالة ابن الخطيب مثلى الطريقة في ذم الوثيقة[47] ، بينما برز في الفقه وأصوله أحمد بن عبد الله العبد الوادي البرنسي التلمساني في مؤلفه وشي العاصم في شرح تحفة ابن عاصم [48] .

وفي النحو برز من أعلام المغرب الأوسط ابن قنفذ في كتابه هدية السالك في بيان الفية ابن مالك ، كما شرح هذه الالفية احمد المقري (ت بعد 847) في شرح ألفية ابن مالك، وابن مرزوق الحفيد في إيضاح السالك في شرح الفية ابن مالك وأضاف كذلك شرح التسهيل [49] الذي شرحه كذلك محمد المقري (759هـ).

من أعلام تلمسان الذين ألفوا حول الحوفية ما ألفه سعيد العقباني وكان عبارة عن مقالات وشروحات بقيت مخطوطة وهو كتاب شرح الحوفي حيث قال في هذا الصدد التمبكتي "ألف شرح الحوفية ولم يؤلف عليها مثلها"[50] وهذا الكتاب لازال مخطوطا بعدة مكتبات[51]. ويبدو أن سعيد العقباني قد اتبع طريقة كانت جديدة آنذاك واكتشاف هام في شرح هذا الكتاب اتبعها من قبل عالم بجاية القرشي (ت1184م) وتنعت بطريقة الكسور[52].

أما شرح التلمسانية في الفرائض فهي الأخرى كثرت عليها الشروح والتعليقات، واهتم بها العلماء؛ حيث شرحها:

– أبو الحسن علي بن يحي بن محمد المغيلي الفقيه الفرضي العروضي من أهل القرن 9 هـ، ألف في شرح الأرجوزة التلمسانية؛ حتى قال في مستهلها مبرزا دافعه إلى وضع شرحه بقوله: " فإني لما رأيت طلبة الزمان مولعين برجز الفقيه النحرير الفرضي أبي إسحاق إبراهيم بن أبي بكر التلمساني ... معتكفين على درسه ومعتنين بفهمه، انتدبت إلى شرحه وفكّ ألفاظه، قاصدا بذلك ثواب الله تعالى، ومع ذلك فقد ألحّ عليّ بعض الطلبة ممن اعتنى به راغبا في ذلك، فأسعفته، وأجبته على ذلك.[53]

– محمد بن أحمد الحباك التلمساني ت 867 هـ ، له شرح على التلمسانية في الفرائض[54].

– أحمد بن محمد بن زاغو(ت 845 هـ)؛ له شرح على التلمسانية؛ وله أيضا كتاب :منتهى التوضيح في عمل الفرائض من الواحد الصحيح[55].

– يعقوب بن عبد الله السيتاني؛ له كتاب منتهى الباني ومرتقى المعاني في شرح فرائض أبي إسحاق التلمساني[56].

–عبد الرحمن الأخضري البسكري (ت 906 هـ)، له الدرة البيضاء في500 بيت؛ قسمها إلى 3 أقسام :الحساب والتركات والقسمة.

– محمد بن الحسن بن مخلوف الراشدي أبركان التلمساني (ت868 هـ)، له تقييد على الحوفي[57].

– أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي(ت 895 هـ)؛ له المقرب المستوفي في شرح فرائض الحوف [58].

وفي تصنيف التراجم والبرامج والأسانيد ألف أبو الحسن جابر بن أحمد بن إبراهيم **مشيخة شيوخ ابن خير** ورتبها أبجديا بعدما استفاد من الطريقة الأندلسية في وضعها وإخراجها وترتيبها على حروف المعجم[59].

خاتمة :

ظلت الأندلس حاضرة مستمرة في ذهنية المجتمعات الإسلامية والعربية مشرقا ومغربا بالرغم من غيابها كوجود أندلسي على أرض الواقع ، والأمر نفسه انطبق في تلك الفترة عند تنامي حركة الاسترداد الاسباني حيث كانت قضايا الأندلس على بال التلمسانيين إقراء و سفارة و تأليفا وحتى إفتاء فكان أبو عبد الله محمد الحسيني الشهير بالشريف التلمساني(ت 771 هـ) تأتيه الأسئلة من غرناطة فيجيب عنها.

وكانت قضايا النوازل باجتهادات العلماء الأندلسيين حاضرة في ذهن الفقهاء الذين تتبعوا خطى أولئك فاستحضروا ما يتعلق بتلك القضايا في أذهانهم وأوراقهم ومؤلفاتهم وملئوا بها صفحات إفتاءاتهم وخزنوها من جديد في مؤلفات النوازل عندهم، وهكذا يظل الحضور الأندلسي الفقهي المالكي قائما في كتب النوازل بدءا من" **المعيار** "للونشريسي (ت 914 هـ) .

تمخض عن هجرة الأندلسيين نحو غرناطة أفريقيا ولؤلؤة المغرب عدة نتائج إيجابية صبت بمجالات صيغ ومظاهر الحوار والتواجش العلمي والتفاعل الثقافي الذي أثر بشكل أو آخر في نمط الحياة المعرفي والتعليمي في أهل تلمسان آنذاك.

إلا أننا يمكن أن نعقب على تباين إشارات المصادر التي قد تقدم لنا معلومات شحيحة عن ما قدمه الأندلسيون للتلمسانيين في مجال العلم والتعليم والإنتاج الفكري ويرجع ذلك إلى أن المصادر الأندلسية والتي تهتم أكثر بتراجم العلماء قد استأثرت بعلماء العدوة الأندلسية واكتفت فقط بذر رحلاتهم و جهتهم دون أن تضيف على نشاطاتهم خارجها.

صحيح أن إشعاع غرناطة الثقافي كان في تراجع في ظروفها الصعبة و ما تبقى من مراكز حولها في القرن التاسع الهجري يحوي بعض المثقفين ،إلا أن سعة المجال الثقافي في تلمسان بتوفير المدارس والأساتذة وتنوع مواد التعليم بدرجة كبيرة (التعاليم ، الأصول ، الفقه ، النحو ، الكلام ، التصوف ...) سمح في الواقع بداية الاستغناء جزئيا عن استقاء المعرفة من الشيوخ في الأندلس فاقتصرت على مؤلفاتهم التي دخلت تلمسان .

إذا كان القرن السادس الهجري قد وجدنا به سيطرة الفقه و العلوم الدينية عموما نظرا لتحكم عدة عوامل (تعلم الناس أمور دينهم – التدرج في المناصب الإدارية – إضفاء الوجاهة لمتعلميه) إضافة إلى علم الحديث الذي كان سماعه وأخذ الرواية والأسانيد من التخصصات الأندلسية حيث أخذ حيزا كبيرا من نشاط أغلب الرحالة والمتنقلين الأندلسيين ،كما أن علم القراءات كانت أصولا لا يستغنى عنها في المساجد والمدارس التعليمية .

فإن القرن التاسع الهجري قد أعطى مجالا أكبر لعلوم كانت أقل شأنا من سابقتها مثل التعاليم والتصوف فقد برزت العلوم العقلية أكثر في الحاضرة تلمسان بفضل جهود الأندلسيين ومؤلفاتهم خاصة في علم الفرائض والحساب وغيرها .

أدخل قسم من الداخلين الأندلسيين نحو تلمسان كتبهم إليها وفي أغلب الأحيان ممن كانوا بمستوى علمي متقدم كان لهم مؤلفاتهم فساهم ذلك في الإثراء المعرفي و الاستفادة منها ؛ ومما لا يحتاج إلى إيضاح أن أقطار المغرب عموما عرفت تدفقا للكتب المنقولة من الأندلس بشكل لم يسبق له مثيل، وذلك بعد اشتداد الضغط على المدن الأندلسية وهجرة الأسر منها .

الهوامش :

[1]- القلصادي أبو الحسن علي (ت 891هـ) ، الرحلة .،تح: محمد أبو الأجفان ،الشركة التونسية للتوزيع ،تونس 1978، ص95.

[2]- إبراهيم حركات ، مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 9هـ/15 م ،ط1 ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء 2000 ، ج1 ،ص33.

[3]- ابن خلدون ، المقدمة ،تحقيق : عبد السلام الشدادي ،ط1، خزانة ابن خلدون بيت الفنون والعلوم والآداب، الدار البيضاء 2005، ج5، ص169.

[4]- *محمد الطاهر بن عاشور ، أليس الصبح بقريب ، دار سحنون – دار السلام* ، 2006 ، ص 79.

[5] – محمد الأمين بلغيث ، فصول في التاريخ ،ط1، أنتر سينبي الجزائر 2007م، ص66 .

[6]- ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت 1995، ج2، ص43، تر: 116.

[7]- ابن الابار ، المصدر السابق ، ج2، ص222، تر : 616.

[8]- المصدر نفسه ، ج4، ص 137، تر: 395.

[9]- نفسه ، ج3، ص227، تر: 568.

[10]- نفسه ، ج4،ص 180، تر: 251.

[11]- نفسه ،ج4،ص 186، تر:535.

[12]- ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة،1975،ج3،ص 444.

[13]- *المقري التلمساني ، أزهار الرياض في أخبار عياض ، تح: مصطفى السقا* وآخرون ، مطلعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك، الرباط، 1939،ج1، ص71- ج3،ص ص 305، 308.

[14] - المجاري الأندلسي ، البرنامج ، تح: محمد أبو الأجفان ،ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت1982، ص 138.

[15]- القلصادي ، المصدر السابق، صفحات 33، 39، 94 .

[16] - المقري ، نفح الطيب من عصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تح : إحسان عباس ، دار صادر، بيروت ، 1968، ج2، ص ص -692 694.

[17] - المقري ، أزهار ،ج3 ،305.

[18] - التجيبي السبتي ، البرنامج ، تح: عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب ، ص266- ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، تق: محمد بن شريفة ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية 1984 ، س 8 ، ق 1، ص280.

[19]- ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ج1، ص 327 - التجيبي، المصدر السابق ،276.

[20] - ابن مريم المديوني التلمساني ، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، نشر محمد بن أبي شنب ، ديوان المطبوعات الجامعية 1986 ، ص56- ابن فرحون ، الديباج المذهب ، ص 274 .

[21]- المجاري ، المصدر السابق ، ص126.

[22]– القلصادي، المصدر السابق ، ص85.

[23]– أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1988 ،ج7، ص 288.

[24]– ابن الخطيب ، المصدر السابق، ج1، ص 327 – التجيبي ، المصدر السابق، ص289.

[25] – ابن مسعود الخزاعي ، تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من الحرف و الصنائع والعمالات الشرعية . تح: إحسان عباس ، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1985 ، ص22 مقدمة التحقيق .

[26]– المقري ، نفح الطيب ، ج2، ص694-695 .

[27]– حققه علي الشنوفي ونشر في المركز الثقافي الفرنسي بدمشق ، سنة 1967. Bulletin d'études orientales Tome XIX, Année 1965-: 1966,Damas 1967.

[28]– حققه نزار حمادي ، الطبعة الأولى، مؤسسة المعارف للطباعة و النشر ، بيروت 2008.

[29]– محمد بن محمد بن مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، المطبعة السلفية ،القاهرة 1349هـ ، ج1، ص 273 – *ابن غازي* المكناسي، التعلل برسوم الاسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد (*فهرس ابن غازي*)، تح: محمد الزاهي، ط1، دار بوسلامة للطباعة والنشر – تونس، 1984، ص 25.

[30] – ابن الأحمر ، تاريخ الدولة الزيانية، تح : هاني سلامة ، مكتبة الثقافة الديني ، مصر 2000 ، ص48 .

[31] – الوزان حسن بن محمد (ليون الأفريقي)، وصف أفريقيا، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي ، بيروت،ج2، ص19.

[32] – حسن الوزان ، المصدر نفسه ، ص 21 .

[33] – ابن مريم ، المصدر السابق ، ص43 . ينظر كذلك للاستزادة: العبدري محمد البلنسي، الرحلة ، تح: أحمد بن جدو، مطبعة البعث، قسنطينة ، د– ت ،ص 11.– الغبيرني أبو العباس أحمد، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة في بجاية، تح :عا دل نويهض، ط1، منشورات التأليف والنشر والترجمة، بيروت 1969، ص26.

[34]– إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص35.

[35]– الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار لصاحبه الإمام الحافظ " أبي عمرو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الأندلسي المتوفى سنة 462هـ.

[36]– ابن حبيب الأندلسي، الواضحة كتاب الصلاة وكتاب الحج ، تح: يكلوش موراني، ط1، دار البشائر الإسلامية، بيروت 2010 .

[37] – ابن مرزوق الخطيب، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تح: ماريا خيسوس فيقيرا، ش و ن ت، الجزائر 1981، ص 277.

[38]– "حرز الأماني ووجه التهاني " وهي المسماة بالشاطبية نظمها أبو القاسم الرعيني الشاطبي المتوفى سنة 590 هـ ، وهي في الأصل نظم لكتاب "التيسير في القراءات السبع " لأبي عمرو الداني المتوفى سنة 444هـ.

[39]– شهر باسم الخراز، وجزء منه خاصّ بالضَّبط يسمى ضبط الخرَّاز، وهي منظومة أو أرجوزة من 154 بيتًا نظمها سنة 703 هجريَّة، واقتصر النَّاس عليها فاشتهرت، وهو الجزء الَّذي شرحه التنسي بعنوان الطراز في ضبط الخراز.

[40]– حققه محمد عبد القادر عطا ، و طارق فتحي السيد ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2001.

[41]– ابن الخطيب ، المصدر السابق ،ج3، ص187 .

[42]- ابن عبد الملك المراكشي ، المصدر السابق ، س8،ق1،ص314.

[43]- بوشقيف محمد ، تطور العلوم ببلاد المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين ،أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط ، قسم التاريخ ،جامعة تلمسان ،2011، ص 116.

[44]- المصطفى البوعناني ، أحمد بن القاضي الفرضي الحيسوبي مجلة دعوة الحق ،العدد 337 ربيع 2- جمادى1 1419/ غشت شتنبر 1998 . وأما الفرائض فهو علم بقواعد وجزيئات كيفية صرف التركة إلى الورثة بعد معرفتهم، وقد اختلف في قوله عليه الصلاة والسلام: "إنها نصف العلم" .عن هذا العلم ينظر : ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج5، ص204 ،205.

[45]- عبدلي لخضر ، العلوم الدينية بتلمسان خلال عهد بني زيان ، مجلة القرطاس الدراسات الحضارية والفكرية ،جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان ، العدد01 ، سبتمبر 2012 ، ص100، و ص103.

[46]- التنسي أبو عبد الله محمد ، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، تح: محمود آغا بوعياد ، موفم للنشر ، الجزائر 2011 ، ص26.

[47]- المقري ، نفح ،ج6، ص278 – عبد العزيز بن عبد الله ، معلمة الفقه المالكي ،ط1 ، دار الغرب الإسلامي ،بيروت 1983 ، ص187 .

[48] – عبد العزيز بن عبد الله ، معلمة ، ص85 .

[49]- المقري ، نفح ، ج5، ص430.

[50]- التمبكتي ، المصدر السابق ، ص190 .

[51]- الاسكوريال رقم 905 – توجد نسخة مصورة من المكتبة الوطنية باريس رقم الميكروفيلم 5312 .

[52] - Djamil Aissani , les rapports intellectuels Béjaia-Tlemcen , revue Oussour al jadida , N° 2 Spécial Tlemcen ,2011, p27.Bekli M.R et Aissani D, le mathématicien al –Uqbani et la méthode des fractions de l'algébriste al-Qurashi , dans « les échanges intellectuels Béjaia-Tlemcen » ministère de la culture , Ed, Alger –Tlemcen , 2011, pp 67-76.

[53]– أبو الحسن المغيلي، شرح المنظومة التلمسانية في الفرائض ، تحقيق :عبد اللطيف زكاغ ، ط1، مركز الدراسات الإمام الثعالبي ونشر التراث الجزائر ،دار ابن حزم ،بيروت 2009، ص160 .

[54]– المصدر نفسه ، ص123 .

[55]– التمبكتي أحمد بابا ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، تح: التمبكتي، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، تح: علي عمر، ط1 ،مكتبة الثقافة الدينية ،2004 ، ص 119 – ابن مريم ، البستان، ص42 .

[56]– المغيلي ،شرح المنظومة التلمسانية، ص 123 .

[57]– ابن مريم ، البستان، ص86 .

[58]– عادل نويهض ، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى القرن العشرين ، ط2 ، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر ، بيروت ، 1980، ص190 .

[59]– ابن الآبار ، المصدر السابق، ج1، ص201 ، تر: 660 .